حديث الشهر

مع مؤلف «عودة الروح» توفيق الحكيم

يقدمه : عبد الحليم عبد الله

من السهل جدا أن تقرأ لتوفيق الحكيم كتابا باللغة العربية أو الفرنسية .. ومن السهل أيضا أن تلتقى به ... على شرط أن ترتب المصادفة الموقف بينكما . وعندئذ يمكن أن تتكلم معه ساعة من الزمن . وفى أشياء كثيرة ...

لكن من الصعب جدا أن تقرأ لتوفيق الحكيم كتابا له عن طريق الاهداء وأن تتكلم معه طالما أنه يلمح فى يدك قلما على أهبة لتسجيل ما يقول ...

ولم يكن معه فى مكتبه فى جريدة الأهرام أحد حينما نهض ليحيينى ... دخلت حجرة واسعة ذات طراز كلاسيكى . مستطيلة . فى صدرها مكتب جلس اليه . وفى الركن الأيمن مشجب علقت عليه « عصا الحكيم » . والمكان جميل يوحى بالبساطة . لكن رائحة « الفكر » تفوح فى أرجائه

ونظرت الى الرجل ذى الشعر الفضى الهادىء المتواضع البعيد الأغوار ...

ان توفيق الحكيم قادر على أن يشعرك وأنت أمامه بانك من أهم الناس وأكثرهم معرفة فى الوقت الذى يكون هو فيه قد أغرقك بمعلوماته . لا يحملق فيك . كأنه يتلقى كل ما يقول من وجه يطل عليه من فوق . وأحيانا يلقى اليك بانصاف كلمات ويتركك تكمل . انه يخاف منك ... وعليك ... وعلى نفسه . شديد الاحساس بذاته وذوات الآخرين . فهو يرى أن خدش ثمرة فى حديقة جاره تعنى خدش ثمار فى حديقة داره . لذلك فعفة العبارة والاشارة والنظرة أبرز صفاته

قد لا يمد لك يد المعونة ، لكنه يواسيك . ويضفى على تجاربه الشخصية قدسية مبالغا فيها .

من الممكن أن يكتب طه حسين مذكراته وقد كتب بعضها بطريق غير مباشر . وكذلك فعل العقاد بعض الشىء . لكنى لا أستطيع أن أتصور توفيق الحكيم « معترفا » .

ولكى تتكلم مع الدكتور طه عن ذكرياته العامة فاجذب فقط طرف الخيط . ولكى تتكلم مع الحكيم عن ذكرياته العامة فابحث عن مهارة النشال .

وكان العقـاد رحمه الله ممن يفيضـــون ويعترفون اذا ما أثرت غضبه . فطه حسين يقول ما يريد . والعقاد يقول أكثر مما يريد . والحـكيم يقول أقل مما يريد ... فطرة ! !

***

يبدو أن توفيق الحكيم قضى الليلة الســابقة لحـديثى معه ، فى الكتابة أو القراءة . كان على وجهه اشـــعاعات مختلفة عن كل عمل مقدس . كان هادىء الصوت أكثر من المألوف . لين النظرة . ذا ابتسامة مخطوفة .

ودق الجرس يطلب لى القهوة فحدثته عن نظامى الصحى فنظر الى مستغربا كأنه يستكثر على ذلك وأكد لى انه كثيرا ما يكسر النظام . وبعين «نائب فى الأرياف» لمح ورقة فى يدى . ورأيت أنا بعين الريفى الأصلى دلائل عدم الارتياح فى عينيه .

كانت فى الورقة أسئلة موجهة اليه . وكانت المقـابلة بميعاد سابق . وكان الحكيم يعرف كل ذلك . لكنى شممت منه رائحة الهرب فأخذت فى محايلته .

كان لابد أن يثق بى . فلما اقترح أن أترك له الأسئلة ليجيب عنها بأناة لأنه لا يحب الارتجال قلت له بتغافل الصياد وبساطة الريفى : « أمرك . المســـألة سهلة . لك ما تريد . لكن ... ليست القضية سؤالا وجوابا انها مطارحة أفكار . وعلى كل حال أنا لست صحفيا من ذلك النوع الذى يثير المتـاعب بين الناس . ومجلة « القصة » فنية وليست جريدة يومية ... »

وتظاهرت بأنى موشك أن أنصرف . فوضع الحكيم ورقة الأسئلة أمامه . وليس على ملامحه أى تعبير . ووضع عليها كفيه مبسوطتين وأطرق .

وجعلت أتأمل ملامحه الصامتة وأصابعه الطويلة ذات العقد الواضحة وانتظر اللحظة التى يســـتتب الأمن فيها فى نفسه ليجيب عن أســـئلتى وبعد لحظات بدأ يتـــكلم :

ـ تسألنى عن الارهاصات التى سبقت كتابة قصة « عودة الروح » ؟ ... فماذا تعنى ؟ !

قلت :

ـ ان التذكير يبعث الذكرى فلو أننى مثلا طلبت اليك أن تحاول تذكر أسماء ناس عرفتهم فى كوم حمادة وأنت وكيل نيابة ـ لتذكرت ، وكذلك أريد أن تتذكر كيف كتبت الورقة الأولى من قصة عودة الروح ؟ فقال :

ـ لست أدرى هل من الشـــعور الطبيعى للانسان أن يتوهج فيه الحنين لوطنه كلما زاد بعده عنه ... كل الذى أعرفه أننى لم أعش داخل بلدى بحرارة

وقوة وحب للوطن مثلما عشت فى الوقت الذى كنت فيه بعيدا ... هناك فى باريس . حوالى سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ .

كنت فى هذه الفترة لا اكاد انفصل وجدانيا عن صورة مصر . فكنت ابحث عن كل شىء مصرى زاهى اللون . لذلك وجدت نفسى فى هذه الفترة اكتب قصة قصيرة أو صورة ذات اون . ذات لون مصرى فاقع وكانت عن « العوالم » وقد نشرت سنة ١٩٣٤ بعنوان « اهل الفن »

وحوالى هذا التاريخ ايضا ـ اى سنة ١٩٢٧ ـ ادى بى التفكير الى استعادة اعنف ما مر بى منذ ثمانى سنوات . اى فكرت فى ثورة مصر سنة ١٩١٩ . عادت الى وانا فى الغربة بكل عنف مشاعرها ... بكل ما فيها من ذكريات ... بكل ما حاطها من ظروف وملابسات . وفى الغربة ـ حيث يصبح كل شىء مجسما والمشاعر اشد احتداما والحنين فى اعلى درجة حرارة ـ هناك بدات اجسد هذه المشاعر الوطنية تجسيدا فنيا واقعيا . وكان هذا هو مبدأ عملى فى « عودة الروح »

واعتقد اننى لو كنت فى مصر ابان ذلك الوقت ، ربما لم اكن كتبتها . ربما كنت ظللت سائرا فى الطريق الذى سلكته ايام مسرح عكاشة . لان القوة الشعورية او الشحنة الوجدانية التى تدفع الكاتب لأن يكتب عن بلاده لا يمكن ان تكون اشد توهجا مما تكون عليه فى الغربة كما قلت لك . عندما نصبح بعيدين نازحين عن اهلنا واصحابنا ... بل وقلوبنا !!

وسكت الحكيم وسرح كانه رجع الى باريس ... الى احد مقاهى الشانزليزيه او متحف او مكتبة . وكاد صمته يطول . وكانت كفه مبسوطة على الورقة التى ما زالت امامه . فتأملت اصابعه الطويلة مرة اخرى وهتفت به استحثه على الكلام :

ـ عظيم ... عظيم جدا . لكن الذى حدثتنى عنه منصب على الموقف الشعورى للحوادث . بقى اذن أن تحدث قراء القصة لماذا اخترت قالب الرواية لهذه الأحداث . لماذا ـ مثلا ـ لم تجنح الى صب هذه الأحداث فى مسرحية أو أقاصيص؟!

وبدا الحكيم يتكلم بحماسة :

ـ الغربة ايضا هى التى جعلتنى أصب هذه المشاعر فى قالب الرواية دون سواها من الأنواع الأخرى ! !

واعتقد ان العجب قد بدا على وجهى لهذه الاجابة لأن توفيق الحكيم استطرد فى ابتسام من يبرر موقفا :

ـ هل تذكر الضرورة التى أحس بها من قبلى الدكتور هيكل مؤلف قصة زينب وهو فى فرنسا ؟ هذه الضرورة الفنية الحت على انا كذلك واحسست بها . فقد وجد كل منا قالب الرواية شيئا مهما جدا فى الآداب العالمية . ولم يكن فى ادبنا

العربى أهم من الشعر والمقالة . وذلك حدا بالدكتور هيكل أن يغار على بلده ويحاول ان يمنح أدبنا قالب الرواية عندما كتب « زينب » ... هكذا احسست . عاودنى نفس الشعور . شعرت كذلك أننى مندوب لمهمة وان على واجبا قوميا ووطنيا وهو أن أساهم فى خلق البداية التى تحتاج الى المؤازرة والتدعيم .

كان حقل الرواية مقفرا ـ باستثناء هيكل والمازنى والأيام لطه حسين التى واكبت هذه الدفعة ـ وثلاث روايات ليست بالشىء الكثير اذا كنا نطلب أساسا للرواية العربية ونبحث عن خلق نهضة روائية ... أليس كذلك ؟

قلت : بلى ! ! وكأنما يخيل الى أنك كنت (ملتزما) مرتين . مرة باختيار الموضوع الوطنى ومرة باختيار القالب الفنى . فأنت باختيار الموضوع الوطنى قد أعطيتنا قصة وطنية كانت أنموذجا للجيل اللاحق وباختيار النوع الأدبى قد دعمت مطالب احتياجنا الفنى فى أدبنا الى « الشتلة » الجديدة التى كان لابد لها من الرعاية والسعى لكى تنهض دوحة جنب دوحة الشعر المقالة . تلك هى شجرة القصة .

فقال : نعم . قلت :

ـ العمل الروائى والعمل المسرحى يختلفان فى طبيعة تكوينهما . وهما أيضا يتطلبان طبيعة معينة فى كاتب كل منهما . وبما أنكم قدمتم فى هذين النوعين أعمالا فذة فحدثنا عن طبيعة المعاناة الفنية فى كتابة الرواية وكتابة المسرح .

ـ بدأت بالقالب المسرحى لاعتبار يتعلق بى . هذا الاعتبار هو أنى احب دائما (للأشخاص) أن يصوروا نفسهم بنفسهم . بل انى اجد مشقة وضيقا فى أن أصورهم انا بنفسى . والفرق بين الكاتب المسرحى والكاتب الروائى هو أن الروائى يحدثنا عن شخصياته واصفا اياهم بالمحيط أو الجو أو الملامح ... ملامح الوجه أو البدن .. فهو اذن خالقهم وخالق اجوائهم ومنازلهم وتفصيلات حياتهم بحيث اننا نكاد لا نعرف كيف كان يمكن ان يعيشوا لو لم يتدخل الروائى فى حياة هؤلاء الأبطال فيحركهم ويعريهم ويلبسهم ويصنع لهم سماءهم وأرضهم ... بل وطعامهم وشرابهم .

ضحكت مع توفيق الحكيم وقلت : هو اذن خالقهم وحائكهم وطباخهم وساقيهم ؟ !

واستطرد الحكيم ضاحكا : بل وربما ولدهم وراقب أولادهم واحفادهم وانشغل باله بمصايرهم جميعا . فالروائى فى الواقع بالنسبة لابطاله (فاضى لهم) .

واعتقد ان كل روائى كريم سخى بفطرته . فتحت يده كمية من الورق والزمن لا يحاسبه عليهما أحد . كلمات واسطر يستطيع ان ينفق منها بلا رقيب . أما المسرحى فهو بطبيعته (مقتصد) .. جدا .. ويمكن أن أقول : الى حد البخل. فهو لا يستطيع ان يترك اشخاصه يتكلمون الا بحساب . وبالفعل ... انا يريحنى

كثيرا ان اترك اشخاصى يتكلمون هم ويعبرون عما يريدون ولا احاول ان اعاونهم بشىء الى درجة انى فى مسرحياتى كلها لا اثبت (تعليمات) تدل على وصفهم بالدقة او اعمارهم او ملابسهم . كل هذا اتركه للمخرجين يوضحونه اذا ارادوا فاذا نسوا لا اذكرهم به .

ـ شيئا من الايضاح أيضا لو سمحت عن مدى علاقتك بأبطال مسرحياتك .

ـ كل همى معهم ان الاحظ عدم ثرثرتهم او طغيان احدهم على الآخر . ولابد ان اذكرهم بأن (الزمن محدد) وبأنه (باقى من الزمن كذا) ...

ثم ألقى توفيق الحكيم نظرة على الحجرة الواسعة كانما اراد ان يستريح قليلا قبل ان يلقى ببصره الى السؤال التالى :

ـ فى الاحاديث التى قدمتها القصة للدكتور طه حسين والعقاد ـ ذكر كلاهما انه كان ممكنا أن يحظى النقد منكم بمجهود مخلص ، بصفتك خلافا واسع الاطلاع ـ فما الموانع التى حجبت ذلك عنا ؟ !

ضحك توفيق الحكيم ... هل تعرف الضحكة التى ترفض طلبا ما ؟ ! . وتبادلنا النظرات ... وابتسم ثانيا . وتحول الى شخصية (محقق) ترك كرسى السائل الى كرسى المسئول .

انه ـ كما قلت ـ لا يحب أن يخدش ثمرة فى حديقة جاره لأن ذلك يعنى خدش ثمار فى حديقة داره . لكنه ما لبث أن هز راسه وقال :

ـ طيب ... اه ... النقد لم يأخذ منى فعلا عناية كافية لأنى اعتقد أن هناك نوعين من النقد : النقد الصحفى السريع للأعمال المعاصرة او غيرها مما يمكن ان ينشر فى صحيفة يومية او اسبوعية ، للتعريف بالأعمال الأدبية فى ادبنا او آداب غيرنا ـ وهذا قد وجدته متوافرا وممارسا على خير الأيدى من ادباء يحتلون اماكن دائمة فى الصحف والمجلات .

وكنت فى فترة كبيرة من حياتى غير متصل اتصالا دائما بالصحف فوجدت انه من الأنفع أن اكرس جهودى لأعمالى الفنية .

اما الجانب الآخر من النقد وهو الدراسات الجادة فانها تحتاج الى حياة كاملة واوقات واسعة وعمل متخصص ومجالها فى رأيى لأساتذة الجامعات المتفرغين لهذا النوع وهذا يخرج ايضا عن دائرة عمل الفن .

اذن كل ما استطعت أن افعله هو ما يسمى بالنقد الانطباعى الشخصى الذى يصور آرائى الخاصة فيما اقرأ وما احب أن أعلق عليه من الآثار الفنية عموما فى الأدب او الموسيقى أو الفنون التشكيلية . وتجد امثلة منه فى كتبى : « تحت شمس الفكر » و « فن الأدب » و « ادب الحياة » وربما ايضا « زهرة العمر »

وبهذا التواضع والزهد تكلم الحكيم عن النقد ... مع انه من اشد الأنواع

الأدبية استحواذا على قلوب الناس .. من كل سن .. لأن الناقد قاض لا تعينه الدولة ولا تعزله ...

ورايت بعد ذلك أن اسأل الحكيم سؤالا عاطفيا أدبيا فى وقت واحد . وكان السؤال ـ كما قلت ـ مكتوبا امامه .

ـ حياتنا الأدبية بلا « عباس محمود العقاد » فى رأيكم .

وظل الحكيم صامتا . وعبثت يده بالورقة . وحولت بصرى عنه فرأيت على يسارى مصباحا كبيرا منطفئا .. كان ملاصقا لكتفى اليسرى وموضوعا على المكتب . وعدت أنظر الى الحكيم الذى كان محملقا فى فضاء الحجرة بنظرات يملؤها الأسى .. واخذت بشرة وجهه لونا شديد الحمرة .. كان يرثى العقاد فى صمت بليغ . من ذلك الصمت الناطق الذى يتغلغل فى أعماق العصب كما يتغلغل أعلى صوت . وكدت اقول له : لنترك هذا السؤال لأنه ـ فيما يبدو ـ كان شديد الوطأة على قلبه . لكن توفيق الحكيم تكلم فى هذه اللحظة بصوت خافت فيه شرخة لا تكاد تحس ... كان صوته كأنه ينبعث من خلال جهاز شديد الذبذبة . وكان ذقنه ملامسا صدره فرايت جبهته تحت (البيريه) الكحلى التقليدى الذى عكس فى وضاءة فضية شعره . وبدات اكتب ما يقول :

ـ اخشى أن تفقد حياتنا الأدبية بفقد العقاد روحها المنشط .. حياتنا هذه التى اعتادت أن تلتمس عند العقاد هذه الحيوية الدافقة كلما أحست شيئا من الركود . لكن ... حسبنا أن روحه فى كتبه وآثاره ستظل دائما باقية .

ثم رفع الحكيم راسه فجاة كأنه فرغ من صلاة . وبدات علامات الأسى تتراجع شيئا فشيئا عن ملامحه ثم انتقل الى السؤال التالى :

ـ كتبت مسرحيات ذهنية ومسرحيات واقعية ومسرحيات ربما تمثل مدرسة اللامعقول . فهل ترى أن يعبر الكاتب ثم ينتمى الى مدرسة أو ترى العكس ؟ !

ـ من الطبيعى ... أو من المعتاد على الأقل فى كثير من الآداب أن ينتمى الكاتب الى مدرسة . أما فيما يختص بى أنا ... فأنا لا أستطيع الانتماء الى مدرسة واحدة بعينها لأنى اتلقى كل أنواع الفنون بـ .. بـ ..

وسكت وقال بعينيه واشاراته « بوعى » ثم استطرد فى ابتسامة :

تمر هذه الأشياء (بطاحونتى) ولا أدرى بعد ذلك ما الذى يحدث . ولذلك فانه من الصعب جدا ـ أحيانا ـ أن تضع لافتة دقيقة على نوع مسرحية اكتبها الا اذا كان ذلك على وجه التقريب . فنقول : انها تجنح الى الذهنية أو الى الواقعية أو الى اللامعقول . ولكن اذا أمعنت النظر بدقة فى هذه المسرحيات فانك لن تجدها منطبقة تماما على قواعد اى مدرسة تنسبها اليها كما تعرف هذه المدرسة عند (نقادها) لأن الذى يحدث ويجب أن يوضع موضع الاعتبار هو ان كل أنواع الفن

عندما تمر فى هذا (الجهاز) الذى نسميه (فلانا) فانها تخضع لتحولات مختلفة تتصل بالطبيعة الخاصة لهذا الجهاز بحكم بيئته وظروف حياته ودرجة حرارة أرضه ووطنيته ومشاعره ... اليس هذا طبيعيا ؟ !

قلت : ذلك طبيعى لكن هل من الممكن أن نعرف رأى النقاد الأجانب فى هذه الأعمال عندما ترجمت للغات أخرى . وهل يطابق رأيهم رأيكم فى هذا الصدد ؟

فقال الحكيم :

اقول بعد تجربة انى كنت اعتقد أنى متأثر بمدرسة ابسن او ماترلنك فى المسرح أو وايلد مثلا . ولكن عندما ترجمت بعض أعمالى عجبت من أن النقاد فى انجلترا أو فرنسا لم يذكروا كلمة او اشارة لتأثرى بهؤلاء الذين كنت اعتقد ــ ولا أزال ــ أننى تأثرت بهم .

واخذت افكر فى السبب الذى جعلهم ينظرون الى هذه الأعمال كما لو كانت بعيدة عن هذه المدارس . كما قال الناقد الفرنسى الكبير « روبير كمب » عضو الأكاديمية الفرنسية ــ قال :

« انه لا يستطيع أن يضع لافتة معينة تحدد الى أى مدرسة أدبية تنتمى اليها مسرحية مثل (شهرزاد) » . وقال « جان جوتييه » ناقد الفيجارو عن شهرزاد نفسها : « لعلها تنتمى الى نوع من الشعر والشعور الشرقى البحت »

كل هذا ادهشنى لأنهم لم يتحدثوا عن رمزية ماترلنك أو أوسكار وايلد فى مثل هذه المسرحية . فما تعليل ذلك ؟

واستطرد الحكيم :

ــ لابد اذن أن (الجهاز) الذى له ظروفه السابق ذكرها قد أجرى تحولات كيميائية جعلت العمل الفنى ينتمى فى الجانب الأكبر منه الى (ذات الجهاز) بصرف النظر عن المؤثرات الخارجية الأجنبية التى لابد أن (يتغذى) بها كل جهاز .

من ذلك كله أريد أن أخلص الى شىء عام لا يتعلق بشخصى وهو انه لا يجوز مطلقا أن نهمل ذلك الذى أسميه الجهاز الخاص لكل فنان

قلت : ليس اى فنان . بل لابد ان يكون فنانا أصيلا مثلك .

فابتسم وكأنه لم يسمع كلمتى . واستطرد : لابد أن تذكر هذا عندما نتحدث عن المدارس الأدبية التى تأثر بها الفنان . ان التأثر بالمدارس الأدبية شىء طبيعى جدا بل ان التأثر بأى شىء هو وظيفة كل فنان لأن الفنان ما هو الا (احساس يتأثر) .

لكن يبقى بعد ذلك أن نتساءل : ما الذى يجرى لهذا التاثر ... هـــذا هو المهم .

الذى يجرى للتاثر هو نفس ما يجـرى عنـــدما نجمع القطن من الحقل كمادة خام ثم ندخله المكابس والمصانع . لا شك أن المصانع قد استوعبت القطن . ولكن ليس المهم أن نقول : ان المصنع قد استوعب القطن . بل المهم ان نقول : ما الذى فعله هذا المصنع بهذا القطن ؟ !

هذا هو جوهر الموضوع . وهنا سيكون الجواب :

ـ ان طبيعة هذه الأجهزة فى المصنع قد حولت القطن بألوانه المختلفة وأشكاله من تيلة قصيرة الى متوسطة الى طويلة ومن مصرى الى أمريكى الى هندى ـ قد حولته الى ملابس مختلفة الألوان والأنواع .

لذلك تجـــدنى دائما أحب ان امتحن نفسى ... اعنى اجهزتى ... او مصنعى ... فأرى ماذا يستطيع ان يفعل عندما القى فيه بالخامات . مجرد حب استطلاع . وان شئت سمه عدم ثقة فى الجهاز فانا دائما أضعه موضع الامتحان. فالقى فيه (بالمدارس المختلفة) التقليدية والجديدة والتجريبية وأرهقة واقول له : « أرنى الآن ما الذى سيخرج منك »

وعندما يخرج شيئا ما أكون أنا أول المستريبين بقيمته لأننى ممتحن شكاك . ولذلك كن على ثقة بانى لن أخصص هذا الجهاز لنوع واحد على مدى الانتاج . فلا التقليدى ولا الجديد ولا اللامعقول سيكون هو صاحب السلطان الدائم على هذا المصنع .

المهم . أن هذا الجهاز سيظل موضع امتحانى الى أن تقف تروسه .

نظرت الى الحكيم وأنا ريان بكل ما قال . وجعلتنى كلمته الأخيرة انتفض فى خوف على الكنز . فقلت : أستغفر الله ! ! ... ان جيلنا يحبكم كثيرا . انه يرى فى الذين مهدوا له الطريق أوصافا جميلة لا تحصى ... منها أنهم منارات . ومنها .. أنهم ثروة قومية .. ومنها أنهم مصنع أفكار ... ان جيلنا يحب آباءه ويدعو بطول العمر للذين تعبوا فى جلب الطعام ... لأرواحنا !!

كان الوقت يتقدم والساعة تدلف نحو الثالثة وخفت ان أكون قد أفسدت عليه مواعيد يومه فألقيت اليه بسؤال لم يكن مكتوبا :

ـ ماذا تقترح أن تقدم مجلة « القصة » لقرائها ؟

ـ أرجو أن تكون مجلة القصة « مرصدا » لمناخ القصة العربية اى انها تتنبأ باتجاهاتها ... بما تراه من الموجات أو المنخفضات بتعبير محطات الأرصاد .

فتقول مثلا : اننا نرى موجة واقعية معتدلة او منحسرة . او تقول : ان هناك

انخفاضا جويا فى مستوى الرواية العاطفية او الاجتماعية . أو أننا نعيش فى درجة حرارة عالية من التيار التحليلى النفسى ... وهكذا .

فضلا على انها موجهة فى نفس الوقت . ترشد الكتاب كما ترشد المنارات السفن الى الشاطىء .

وأحب ان اقول بهذه المناسبة : يجب ان تتجه القصة على أيدى الشبان الجدد الى ما أسميه (التوثيق) أى ان تكون القصة وثيقة يعتد بها لتجربة نفسية او اجتماعية او بيئية او قومية . فلا تكون مجرد قصة متخيلة بلا عمل مستمدا من خبرة الأديب الفنان الشخصية .

ونحن لا يهمنا نوع الخبرة . فالمعول على صدق التجربة النابعة من شخص لا يمكن لأحد غيره أن يمنحها . ونتيجة ذلك أن تكون القصة الريفية ناتجة من ريفى حقيقى . والتى تصور المصنع من كاتب عايش حياة المصنع لا تخيلها فقط . وهذا هو ما أسميه بالوثيقة .

قلت للحكيم : زدنا ...

فقال : نحن ينقصنا الأدب (المتحرك) أو (المتجول) أى الأديب الذى يخرج عن حدود بلده ليرتاد جهات مجهولة فى وطننا أو بلاد غيره . يدرس ويكتب . كما يفعل اليوم « جراهام جرين » وغيره فى انحاء العالم .

ويجب أن نبدأ بمسح أرض بلدنا . يجب أولا ان يكون عندنا لنا اعمال فنية حقيقية كالوثائق الصادقة . مثل الحياة فى سينا أو الواحات .

تصور معى رواية يكون اطارها الواحات واشخاصها من أهاليها ... بما فيها من جمال طبيعى وعواطف عجيبة . لا شك أن هذا شىء ممتع . لكن .. لابد أن يكون كاتبها قد عاش بالفعل حياة عميقة طويلة هناك الى الحد الذى يستطيع معه أن يستخرج عملا له جذور . أما النوع السريع فلا فرق بينه وبين الربيورتاج الصحفى . ولن يكون هذا هو المطلوب .

عندما هممت بالنهوض خيل الى بأن الحكيم يستبقينى . لكن ذهنى كان قد كل وهو يتابع وثباته الوضاءة .

لم أحس بالجوع ... فهل كان ذلك نتيجة لغذاء نفسى ؟ !

ووقف يودعنى عند الباب .. وادعا .. متواضعا .. ويحذرنى فى رفق ورقة من أن اكتب شيئا لم يقله ..

هذا الرجل الذى يرى أن خدش ثمرة فى حديقة جاره تعنى خدش ثمار فى حديقة داره ـ ملىء بالفن والرقة والحساسية .

ونزلت درجات سلم « دار الاهرام » وأنا أتمنى أن أعود اليه .